

2012

الجمال في الاسلام

Mohammad Al-Terek

Jinan University, dr-m-terek@hotmail.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan>



Part of the [Islamic Studies Commons](#)

Recommended Citation

Al-Terek, Mohammad (2012) "الجمال في الاسلام," *Al Jinan الجنان*: Vol. 3 , Article 3.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol3/iss1/3>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al Jinan الجنان by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

الجمال في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

المنظر الجميل يوحي بالفكر الجميل، وكل ما خلق الله تعالى ينم عن الجمال، وقد أحسن الله كل شيء خلقه، وهو مليء بالجمال، ودال على خالقه، والإنسان يرى الجمال ويفهمه ويدركه بمساحة تفكيره ومحيطه، في صور الأشياء والكائنات أجمعها، وفي طبيعتها منفردة ومجمعة، وفي أحوالها وحركاتها وهيئاتها كلها، فالجمال يدب إلى النفس من أوسع المنافذ فتجذب له، وتأنس به، وتهش له من غير استئذان واختيار، وكأن الإنسان زود بجهاز في داخله لا يعرفه يحكم على هذا بالجمال وعلى ذلك أنه خاوم من الجمال.

وقد حفل القرآن الكريم بالآيات التي تدعو الإنسان أن يفتح بصره وبصيرته على آيات الله في كونه، ليستشعر من ورائها القدرة المبدعة في أسلوب أخاذ يأخذ بمجامع النفس، ليحدث فيها أعجب الأثر بالإيمان بالله تعالى ومحبته، فأَي قارئ للقرآن -مهما كانت ثقافته- يدرك على الفور دعوته العامة لاستطلاع الجمال المعروض والمتقن في هذا الكون لتذوق روائعه، وتلمس العبرة منه، فحيثما اتجه النظر أو القلب، أو الذهن فإنه يجد رصيذاً ضخماً من ذخائر الحسن والجمال، وكأن الجمال ضرورة من ضرورات الحياة، ليشعر بالارتياح وليحس بالصلة القوية بين المصور وما صور، وبالخالق وما خلق، فيزيده شعوره بجمال ما يحس وما يرى، لأنه يرى من ورائه جمال الله تعالى وكماله، ويستشوق عبير جلاله في أسمائه الحسنى وصفاته، فأسماءه سبحانه دالة على أحسن المعاني وأشرفها، وكما ذكر القرطبي «سمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى لأنها حسنة في الاسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله»^(١) وهي توحى وتؤثر

١ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار احياء التراث العربي، ج٧، ص٢٢٦.

وتعمق الحسن والجمال في النفس لترى كل شيء جميلاً.

والقرآن الكريم كذلك يوقظ الوعي الجمالي، ويرقي الذوق الجمالي، فحين يخبرنا أن الله تعالى خلق سبع سموات طباقاً يتبع ذلك بقوله: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾^(١) ثم يدعونا لإعادة النظر والتأمل مرتين وحتى نتأكد من صدق الوصف وجماله ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾^(٢) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ^(٣) وكأن جمالها لا ينتهي فما ينتهي النظر إليها، وقال سبحانه عن الأرض ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٤) فهناك جمال في نظام الكون وصورته لا تغيب عن أي مظهر من مظاهره يغذي به الإنسان وجدانه ويشبع به فطرته، ويشوقه إلى لقاء ربه، فالطبيعة تزخر بالجمال، والجمال عنصر من بنية العالم، والإنسان لشغفه به يسعى دائماً ليحاكيه، فما من شيء فيه صغر أو كبر إلا وتجد جمالاً متغلغلاً فيه فـ «الجمال لا تكتفي أن تكون جبلاً.. ولكنها تكون جميلة ورائعة مكسوة بالثلوج أو مكسوة بالغابات.

إن السحاب لا يكتفي بأن يكون سحاباً يحمل الماء، ولكنه كذلك يكون جميلاً بأشكاله وألوانه، ثم ينتشر عليه في بعض الأحيان طيف الشمس (قوس قزح) في منظر رائع جميل! إن النبات لا يكتفي بأن يكون نباتاً، ولكنه يورق ويزهر، ويستمتع منه الإنسان بزهره وشكله البهيج»^(٥)

ومن الأمثلة اللافتة للنظر على ذلك الندف الثلجية الصغيرة الجميلة، والعجبية «الجمال الذي تشيعه في النفس أصغر ندفة منه أو أصغر بلورة بين السماء والأرض لا يقل عن ذلك سحراً، وهو يلح علينا بإصرار لأنه لا يقتصر على أن يحرك فينا الإستجابة للرقّة والأناقة التي تجعل منا بشراً، ومصمموا المنسوجات والفنانون يستوحون الأفكار من الندف الثلجية (المكبرة) ويستعرضون بمعرض الطبيعة الدائم للزخرفة وتصاميم الجواهر والحلي.. وقد قال أحدهم: «العالم يدرس الطبيعة لأنها جميلة، ولو لم تكن جميلة لما كانت جذيرة بأن تعاش»^(٥)

والجمال في النظرة الجديدة للعلم وسيلة من وسائل اكتشاف الحقيقة العلمية حيث «يجمع أبرز علماء الفيزياء في القرن العشرين على أن الجمال هو المقياس الأساسي للحقيقة العلمية»^(٦) وفي عالم الحيوان: فإن القرآن يوجهنا إلى الغايات والمقاصد المتعلقة بخلق الانعام، فيذكر

١ - (سورة الملك: ٣)

٢ - (سورة الملك: ٣-٤)

٣ - (سورة ق: ٧)

٤ - منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، ط٧، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ١٤٩.

٥ - العلم في منظوره الجديد، أغروس يستانسو، ترجمة كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٢٤، ص ٥١

٦ - المرجع نفسه، ص ٤٦.

الجانب النفعي لها ويتوج ذلك بالغاية الجمالية بعد الوفاء بالغايات الأساسية فيعزز الجانب الغائي بالجانب الجمالي، مما يدل على عناية القرآن بالصورة الجمالية، قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١﴾ فلا يكتفي بذكر المنفعة المادية فحسب، فالجمال والزينة منفعة محققة، وهي تلبى حاسة الجمال الهامة في الشعور الوجداني، ويضاف إلى ذلك الجمال اللفظي في تقديم لفظ تريحون على تسرحون «لما كان إسراحها وهي خماص، وإراحتها وهي بطان، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر» (٢)

وعن الطير، قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ..﴾ (٣) إنه منظر جمالي للطير الصافات والقابضات في كبد السماء تبهج الناظرين، هذا بالإضافة إلى ريش الطيور الذي يغلب على تركيبها الخارجي الزينة والزخرفة والجمال، مع التناسق الدقيق الجذاب التي تزهبه ألوانها الملائمة لبيئتها، والذي يستفيد منه الإنسان ويحاكيه، وأكثر ما يدهشنا ويطربنا تغريدها وزقزقتها وهو صلاتها وتسبيحها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ...﴾ (٤)

فالجمال بالغ الوفرة ومبثوث في هذا الكون، وهو ليس جمالاً سطحياً، بل هو متغلغل في الأعماق، وفي جميع الأشياء صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، واشكالها وحقائقها، وفي كل مستوى، وهو يرى في قطرة ندى، أو ندفة ثلج، وفي النخل الباسقات والحب النضيد، والجنت المعروشات وغير المعروشات، والفاكهة المتشابهة وغير المتشابهة ..

والحدائق ذات البهجة، والازواج البهيجة، وفيما رأينا وفيما لم نر لورأينا، فهو ليس منحصر في عين الناظر وحسب، بل كلما أرجعت البصر لرأيت حسناً وجمالاً كثيراً، «والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الانوار والازهار والاطيار المليحة الألوان، الحسنه النقش، المتناسبة الشكل حتى ان الإنسان لتتفرج عنه الغموم والهموم، بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه، الأسباب ملذة، وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة، ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله، كما قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» (٥)

ذلك الجمال، وتلك الزينة أنكر القرآن على من حرمها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ

١- (سورة النحل: ٥-٦)

٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م، ج٢، ص٣٠٤.

٣- (سورة الملك: ١٩)

٤- (سورة النور: ٤١)

٥- احياء علوم الدين، الغزالي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ج٤، ص٢٩٠.

أَلَتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ»^(١) وإضافة كلمة (زينة) إلى الله عز وجل في الآية، تجسد عنصر الجمال الذي احتوى الوجود كله، وهي تعطي شحنات نفسية عميقة، ترقى الحس الإنساني إلى تذوق الجمال، والتكيف معه، وهو مما اسبغ الله على عباده من نعمه، حيث فطر الانسلن على الاحساس بذلك الجمال، ليتفاعل معه في باطنه وظاهره ومحيطه، فيلحظه ويحفظه في امره كله، مما يرسخ فيه احساسا جماليا عظيما، اذ المحافظة عليه «محافظة على المروءة وعلى التألف المطلوب، لأن الإنسان اذا بدا في الهيئة الجميلة كان ادعى لانبساط النفس اليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس»^(٢)

الإنسان أجمل المخلوقات؛

والإنسان أجمل المخلوقات وأحسنها، يبدو ذلك في تكوينه الجسدي والروحي، فهو أكمل الاحياء في الأرض وأرقاها، فليس لله تعالى خلق أجمل من الإنسان، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣) فالجمال سمة بارزة فيه، وقد دعا النبي ﷺ لبعض أصحابه «اللهم جملّه وأدم جماله»^(٤) وقد أجاب من سألّه، أمن الكبر أن يكون ثوبي غسيلة وشراكي نعلي جديدا؟ فقال ﷺ: «لا، ذاك الجمال إن الله جميل يحب الجمال»^(٥)

وقد راعى الإسلام الجمال في أعضاء الإنسان وجوارحه، فمن اعتدى على إنسان ففوت عليه منفعة جمالية تتعلق به، فأوجب في ذلك الدية تعظيما لحق الآدمي وجماله فـ «اذا فوت جنس المنفعة على الكمال وهو المقصود، وكذا لو قطع المارن أو الأرنبة»^(٦)

«وفي اللحية إذا حلقت فلم تنبت الدية، لأنه يفوت به منفعة الجمال، وفي قرع الرأس إذا لم ينبت الشعر الدية، وفي شعر اللحية الدية إذا لم تنبت وفي الحاجبين الدية إذا لم تنبت.. وأهداب العين.. لأنه اذهب الجمال»^(٧) وفي هذه الاحكام الفقهية الجميلة ما يؤكد على العناية بجمال الإنسان، فشدد العقوبة لمن فوت الجمال في عضو أو أخل به.

واعتنى الإسلام بمظهر الإنسان، فرغب باللباس الحسن الرفيع من الثياب، والتجمل بها وخاصة في الجمع والاعياد، وقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾^(٨) «وليس كل ما تهواه النفس يذم، وليس كل ما يتزين به يكره، وانما ينهى عن ذلك

١- (سورة الأعراف: ٣٢)

٢- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ج ١٠، ص ٣٢٩.

٣- (سورة التين: ٤)

٤- مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، ج ٥، ص ٧٧.

٥- مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣٩٩.

٦- الهداية شرح بداية المبتدي، للمريغيني، مطبعة البابي الحلبي بمصر ج ٤ ص ٩٧١

٧- المغني، لابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣ ج ٩ ص ٥٩٩

٨- (سورة الأعراف: ٣٢)

إذا كان الشرع قد نهى عنه، أو على وجه الرياء في باب الدين، فإن الإنسان يحب أن يرى جميلاً^(١) والإحساس بالجمال يؤدي إلى شكر النعم لدوامها.

وحتى الأسماء دخلت دائرة الجمال، فالنبي ﷺ، يجب الأسماء الحسنة، ويتفاءل بها، قال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»^(٢) لذلك غير أسماء قبيحة إلى أسماء جميلة، وكناهم، ولقبهم بألقاب طيبة لتتفق وجمال الإسلام وجلاله وقيمه، فقد ورد أنه ﷺ «غير اسم عاصية قال أنت جميلة»^(٣) وغير ﷺ اسم «أسود إلى أبيض»^(٤) و«اسم معرض إلى مبارك»^(٥)، لأنه يريد أن يرى أصحابه وأتباعه على صورة كاملة من حسن الأدب وكمال الخلق، وجمال الألفة، وعظمة المودة، فيجب أن يكونوا جميعاً في سمت حسن واسم جميل وصورة حسنة تتم عن مخبر أجمل، والاسم مفتاح شخصية المرء، والطريق إلى قلبه، فدعا إلى تحسين الاسماء، وتزيينها بالألقاب الطيبة، والكنى الحسنة، ولم يكتف بأسماء الناس بل غير أسماء بعض المدن والأماكن والبقاع، وفي مقدمة ذلك اسم (يثرب) التي كانت تعرف بها المدينة المنورة قبل الهجرة وسماها ﷺ «طيبة وطابة»^(٦)، وكان ﷺ يصحح كل ما تقع عينه عليه أو تسمع أذنه، فقد غير أرضاً «تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى»^(٧)

بل اتسعت دائرة الجمال في الإسلام لتشمل الشوارع والطرق، واعتبر ذلك نوعاً من العبادة، فالإسلام لا يحصر العبادة في أماكن محددة أو منعزلة أو معتزلة، بل يوسع في معناها لتشمل المنظر الجميل لكل ما يحيط بك، أو تقع عليه عينيك، قال ﷺ: «عرضت عليّ أعمال أمتي، حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد ولا تدفن»^(٨)، فالمحيط المحيط بالمسلم الذي حرص الإسلام على إيجاده وإنشائه، والمحافظة عليه، من الجو النظيف، والبلد الطيب، والبيئة الجميلة، كلها موحيات جمالية توحى للمسلم أن تكون كلمته جميلة، وتفكيره جميلاً، وتصرفه جميلاً.

لذلك حذر الإسلام من تلوث البيئة، فدعا إلى حماية الهواء من أصوات منكرة، ومن تناول أي مطعم أو مشروب يبعث رائحة كريهة، ورغب في الطيب، ودفن القبيح، وحفلت الشريعة بنصوص كثيرة تحث على حماية الأرض والماء من التلوث، فقال ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث:

١ - تفسير القرطبي، م، ج ٢، ص ١٧٩.

٢ - رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسماء، ص ١٥٨٦.

٣ - مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٨.

٤ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١، ص ٣٠٢.

٥ - المرجع نفسه، ج ٣، ص ٤٢٤.

٦ - تفسير القرطبي: ج ١٤، ص ١٤٨.

٧ - رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، حديث رقم (٩٥٦).

٨ - رواه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد، حديث رقم (١٢٣٣).

البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»^(١)، وقال أيضاً «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه»^(٢) فالإسلام دعا إلى حماية البيئة وعدم الاعتداء عليها، وعدم المس بها أو التعرض لها، في أي حال من الاحوال الا أن يكون مبرراً شرعياً، لتبقى على طبيعتها الجميلة، وحيثما حول الإنسان وجهه رأى ما يذكره بآلاء الله وجلاله، فيذكره ويشكره سبحانه.

ولتبقى مظاهر الجمال في خيال المسلم وخاطره يحس بها ويتذوقها، فقد أورد السيوطي خبراً طريفاً فقال: «وأنت إذا تأملت السواد الذي في القمر وجدتها حروفا فأولها الجيم وثانيها الميم وثالثها الياء والسلام حرف آخر الكل مكتوب عليه جميلاً، وقد شاهدت ذلك وقرأته مرات فسبحان من خلقه جميلاً»^(٣) فهذا السيوطي الذي يعتبر مجدد القرن التاسع يرى كلمة جميلاً مرات في القمر، وأدنى ما يدل عليه ذلك، خيال العلماء الجميل في الإسلام، وقد وصف نظام الملك العلماء بقوله: «هؤلاء جمال الدنيا والآخرة»^(٤)

فهناك ارتباط وتلازم بين الإسلام والجمال، الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود، فمن جمال الإنسان إلى جمال الكون، إلى دنيا الجمال، واعتناء الإسلام بالجمال المعنوي أكثر من الجمال المادي «فهو يعرض الحياة من خلال المعايير الجمالية سواء بالسلب أو بالإيجاب، فهو حين يعرض للاختلالات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو النفسية أو الخلقية، يعرضها على أنها (قبح) ينافي حقيقة الجمال التي ينبغي أن تكون راسخة في حياة البشر، لأنها راسخة في بنية الكون كله والحياة.

الظلم الاجتماعي قبح لأنه ينافي جمال العدل.

والحقد النفسي قبح لأنه ينافي جمال الحب.

والانحلال الخلقي قبح لأنه ينافي جمال التسامي والارتقاء.

وهكذا كل ما يعرض الحياة البشر من انحراف واختلال هو قبح لأنه خروج عن الجمال الواجب الذي يتسق مع إرادة الله في خلقه الكون»^(٥)

جمال اللغة :

واللغة العربية بطبيعتها جميلة، فكان العرب يهتمون بثناء المعنى وبهاء المبنى ليزيد وهجا في الكلمة وجمالها، لتبعث بالمعنى الجميل إلى الذهن، ولتقع الموقع الجميل الجميل في الاذن،

١ - رواه أبو داود، كتاب الطهارة ، حديث رقم (٢٦)

٢ - رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، حديث رقم (٦٥٦).

٣ - الحاوي للفتاوي، للسيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ج ٢ ص ٥٩٣ .

٤ - البداية والنهاية، لابن كثير ، دار صادر ، بيروت ج ١٢ ص ٢٢٧١.

٥ - منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ط ١ ١٤٠١-١٩٨١ ، ص ١٣٥

وعلى سبيل المثال: من التحسينات اللفظية الاتباع: وهو أن تتبع الكلمة على وزنها توكيدا كي لا تستعمل الاولى منفردة، «وهو على وجهين:

أحدهما: أن يكون للثاني معنى، كما في قوله تعالى ﴿..هَيَّئْ لَنَا يَكَا﴾^(١)

والثاني: أن لا يكون له معنى، بل ضم إلى الاول لتزيين الكلام وتقويته معنى، نحو قولك: حسن بسن^(٢).

فالتوكيد اللفظي يؤدي إلى تكرار نغمة موسيقية تهدف إلى تقرير المعنى في النفس عن طريق موسيقا معينة لها تأثير واضح، واستمع إلى التكرار اللفظي المتمثل، وإلى ثراء معناه وجماله في قوله تعالى: ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾^(٣)

ومن زاد محصوله وثروته من ألفاظ هذه اللغة وصيغتها قويت عباراته وأساليبه، وحسنت مفرداته، وللمعنى قيمته بقيمة اللفظ الذي يوصله، فهو بمثابة الثوب الذي يلبسه، واللفظ كما ذكر الهمذاني «زينة المعنى، والمعنى عماد اللفظ، ولكن مما يحمد من التأليف والنظم أن يكون كما قلت: تزين معانيه ألفاظه، وألفاظه زائنات المعاني، فإذا كانت الالفاظ مشاكلة للمعاني في حسنها والمعاني موافقة للالفاظ في جمالها، وانضاف إلى ذلك قوة من الصواب وصفاء الطبع، ومادة من الأدب، وعلم بطرق البلاغات، ومعرفة برسوم الرسائل والمكاتبات كان الكمال»^(٤).

فجمال الكلمة في العربية يقتضي معرفة اللفظة بمستواها المختلف، لاستخدامه في سياقه ومقامه، وعلى حد تعبير الجاحظ «ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء..والافصح في موضع الافصح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال»^(٥) بل إن التعبير يعتبر جميلاً وإن كان في الرثاء لأنه يعبر من أعماقه عن بثه وحزنه.

فالجمال يرتبط بطريقة التعبير وليس في الموت نفسه، فالثروة اللفظية تظهر أهميتها في حسن استخدامها فيما تعبر عنه من اللفظ الملائم للمعنى المناسب النافع، فالكلمة الفاتنة عند الأعرابي خير من الدنيا وما فيها، وما ذلك إلا لسحرها وفصاحتها وبلاغتها وجمالها.

الصلاة والجمال:

إذا كان الجمال منهجاً ثابتاً وأصيلاً في الحياة بأسرها، لاعطاء الحياة طابعاً جمالياً،

١- (سورة النساء: ٤)

٢- الكليات، للكفوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد وبدمشق ط٢، ١٩٧٩، ج٢ ص٣٥

٣- (سورة الشرح: ٥-٦)

٤- الالفاظ الكتابية، للهمذاني، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، مقدمة المؤلف

٥ - الحيوان، للجاحظ، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ج٣، ص٣٩.

فكيف بالصلاة وهي عماد الدين، وزينة العابدين، ومستروح المسلمين، فكل ما يتعلق بها -سماعاً وقراءة ورؤية- فقد وردت فيه ألفاظ الحسن والجمال والزينة، صورة ومعنى، أو شكلاً ومضموناً، وينبغي أن يشع حسناً وجمالاً، ويوحى بالراحة والسرور، فقد أورد البخاري في صحيحه: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس»^(١)

ولو نظرنا إلى حال النبي ﷺ حينما فرضت عليه الصلاة، كما جاء في حديث الإسراء عن وصف سدرة المنتهى «فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»^(٢) حيث وجد ﷺ في أجمل مكان يمكن أن يوجد فيه، فهو من شدة حسنه لا ينعت ولا يوصف و «ألوان لا أدري ما هي»^(٣) ولحكمة ما أختار الله عز وجل ذلك المكان الجميل لتفرض عليه الصلاة.

وإذا كانت الصلاة ينادى لها بالأذان، فقد اختار النبي ﷺ من أصحابه الأجمل صوتاً لينادى لها، ففي حديث الأذان، فلما جاء عبد الله بن زيد وقص عليه الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم قد رأى رؤيا، فأخرج مع بلال إلى المسجد فألقها عليه، وليناد بلال فإنه أندى صوتاً منك»^(٤)

وتبدأ جماليات الصلاة من العناية بطهور المسلم ونظافته، ثم العناية بزيئته لتألفه ورفع مستوى الخشوع وإثارته في نفسه، فالوضوء «من الوضوءة وهي الحسن»^(٥) فجاء التوجيه النبوي بإسباغهِ وتحسينه، فعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياهُ من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»^(٦)

وأضاف الخشوع والركوع في حديث آخر، فقال ﷺ: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله»^(٧)

فإذا بدأ بالقراءة فقد أمرنا بتحسين الصوت، فقال ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به»^(٨)، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه»^(٩)، وقال ﷺ: «زينوا

١ - رواه البخاري، كتاب الأذان، حديث رقم ٦٩٥.

٢ - رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، ص ٨١

٣ - المرجع نفسه.

٤ - قال في النهاية: «أندى صوتاً» أي «أرفع وأعلى، وقيل أحسن وأعذب، وقيل أبعد» ج ٥، ص ٣٧.

٥ - النهاية، لب الأثير، مادة وضاً، ج ٥، ص ١٩٥.

٦ - رواه مسلم، كتاب الطهارة، فضل الوضوء، حديث رقم ٥٤٣.

٧ - رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم (٥٤٣)

٨ - رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» رقم ٧٥٤٤

٩ - رواه البخاري، الكتاب نفسه حديث رقم ٧٥٤٣.

أصواتكم بالقرآن»^(١)، فأحسن الحديث يزيد حسنا وزينة وجمالا بالصوت الحسن، وقال ﷺ عن صوت سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا»^(٢) وفي هذا حث وترغيب في تزيين الصوت وتحسينه بالقراءة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وفي صلاة الجماعة أمرنا بإتمام الصفوف وتسويتها والتراس فيها لتنمي الإحساس بالطاعة والجمال، قال ﷺ: «وأقيموا الصف في الصلاة فإن إقامة الصف من حسن الصلاة»^(٣) وقال ﷺ أيضا «أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة»^(٤)

فالمصلي يقيم صلاته، بأحسن هيئة وأجمل حال، بانتظام تام، فيبدأ بالوقوف بين يدي مولاه خاشعا مستسلما، مستشعرا هيئته، واضعا يده اليمنى على يده اليسرى مظهرا عجزه وضعفه، وبعد ركوعه، يزيد في الاستدناء فيسجد وهو في غاية التواضع والخضوع، فاذا بأحسن الخلائق خلقة يسجد لأحسن الخالقين لرب العالمين، وهو يرسم في ذلك صورة جمالية مطمئنة في أحواله كلها، وبهذا وصفت صلاته ﷺ، فلما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ قالت: «.. يصلي أربعاً لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن..»^(٥) وأبطأ بلال عليه بالخروج يوما في صلاة الصبح، فقال ﷺ: «اني كنت ركعت ركعتي الفجر» فقال: يا رسول الله، إنك أصبحت جدأ، قال: «لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما»^(٦) فإذا كانت صلاته النافلة بهذا الحسن والجمال والتمام، فكيف بالفريضة؟ وكان من هديه ﷺ إذا رأى من لا يطمئن في الصلاة أو يعتدل فيها، يأمره بالإعادة، وقد خاطبنا ﷺ، «يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»^(٧) وذلك ادعى لحسنها وجمالها والخشوع فيها .

وفيما يتعلق بلباس المصلي، فينبغي اختيار الثوب الأجمل والأحسن للصلاة، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَادَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٨) فالمأمور به في الآية التجميل باللباس، وهو من شروط صحة الصلاة، وقد بين النبي ﷺ ذلك، «من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله، وتطهر فأحسن طهوره، ولبس من أحسن ثيابه..»^(٩) فعلى المصلي أن يلبس من خير ثيابه وصالحها استعدادا

١ - رواه ابن ماجه، كتاب اقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن حديث رقم ١٣٤٢ .

٢ - رواه ابن ماجه، الكتاب نفسه حديث رقم (١٣٢٨)

٣ - رواه البخاري، كتاب الاذان، باب اقامة الصلاة في الصف، حديث رقم (٧٢٢) ورواه مسلم رقم (٩٧٧)

٤ - مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤٨٥

٥ - رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل، حديث رقم (١٧٢٢) .

٦ - رواه أبو داود، كتاب التطوع، باب ركعتي الفجر، حديث رقم (١٢٥٧) .

٧ - رواه ابن ماجه، كتاب اقامة الصلاة، باب الركوع في الصلاة، حديث رقم (٨٧١)

٨ - (سورة الاعراف: ٣١)

٩ - رواه ابن ماجه، كتاب اقامة الصلاة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، حديث رقم ٩٧٩.

للوقوف بين يدي ربه تعالى، «وروى عن الحسن السبط رضي الله عنه كان إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله ﷺ لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إن الله جميل يحب الجمال فأجمل لربي وهو يقول: «خذوا زينتكم عند كل مسجد» فأحب أن ألبس أجمل ثيابي.. وفهم من الآية في الجملة حسن التزين بلبس ما فيه حسن وجمال»^(١) وذكر القرطبي في تفسيره: «فإن كان إماماً فلا يصلي إلا بردائه، لأنه من الزينة»^(٢)، وعنون البخاري في كتاب الجمعة باب (يلبس أحسن ما يجد) وذكر في الفتح «بأنه كان معهوداً عندهم أن يلبس المرء أحسن ثيابه للجمعة»^(٣). ووصف ابن الخطيب أهل غرناطة «فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح تحت الأهوية المعتدلة»^(٤).

والمسجد الذي تؤدي فيه الصلاة، أجمل ما تقع عليه عين الإنسان في المدينة الإسلامية، وقد أمرنا بطهارته ونظافته، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب»^(٥)، فالمسجد مركز الإيمان وعنوانه، وهو بيت الله تعالى، وبيت المسلمين، وهو أفضل المنشآت في الأرض على الإطلاق، فينبغي أن يكون بيت الجمال فيما يسمع فيه ويرى، وكأنه مكان للروح خاصة، حيث يشعر من دخله بالأمن والسكينة، والراحة النفسية، والاحساس بالجمال، ومن لم يشعر بذلك فعينه عاجزة عن رؤية الجمال، كما ذكر في كتاب المساجد «فلو أن أحداً فتح عيونهم إلى هذه الحقائق لرأوا جمال المساجد وأحسوا بقدسية القرآن، ولعلموا أننا نزور المساجد للنجوى والهدوء والتأمل والتوبة، وكلها ضروب من الجمال النفسي يناسبها الجمال المعماري»^(٦) ليتحسس المسلم الجمال كله.

ومما يذكر أن المماليك عندما بنوا المسجد المنصوري الكبير في مدينة طرابلس الشام، أنشأوا في جهته الشرقية سوق العطارين، وأحاطوا جهته الغربية ب زراعة الزهور، فالداخل إليه والخارج منه لا يستنشق إلا رائحة العطور أو الزهور، «ففي الاسلام، كما قيل جميع الفنون تؤدي إلى المسجد، والمسجد يحمل على الصلاة»^(٧).

فالصلاة في المسجد جمال على جمال، فقد اختار النبي ﷺ للصلاة من الكلام أجمله وأحسنه، يوصي به، ويرشد إليه، فينادي لها بالصوت الجميل، ويمشي إليها المشي الجميل،

١ - روح المعاني، للألوسي ج ٨، ص ١٠٩.

٢ - تفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٩١.

٣ - فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج ٢ ص ٢٧٤.

٤ - المساجد، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٣٧) ص ٤٥.

٥ - رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب بناء المساجد، حديث رقم (٤٥٥).

٦ - المساجد، حسين مؤنس، ص ٦.

٧ - وعود الاسلام، روجيه غارودي، الوطن العربية، القاهرة، بيروت ١٩٨٤، ص ١٤٥.

ويلبس لها الثوب الجميل، ويثني على الله الثناء الجميل، ويؤديها الأداء الجميل، فكل ما يتعلق بها ينتمي إلى حقل الجمال، وأكثر الناس يفتقدون ويفتقرون إلى هذه المعاني الجذابة والانفعالات اللطيفة المرتبطة بالصلاة، وإذا أمرنا بالعمل الأحسن ﴿.. لِبَلُوكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا..﴾^(١).

فزينة العمل الأحسن الصلاة، هذه الزينة الظاهرة يسبقها زينة قلبية ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢)، فالإيمان زينة قلبية، والصلاة زينة بدنية، فحينئذ نشبع إحساسنا بالجمال، فلا جفاء بين الزينة والعبادة، فالمسلم يتقرب إلى ربه بحسن زينته، وبهاء طلعته، وصالح ثيابه، وجمال هيئته، وزينته التشكيلية هذه تتحدث بنعمة ربه عليه وتحوله إلى طمأنينة وقرّة عين في الصلاة، وبذلك نخشع في صلاتنا ونصبح مؤهلين في الاقبال على الله تعالى، والشوق إلى لقاءه، وبهذا يزداد المؤمن زينة وجمالاً، وذا جمال يحبه الله ويرضاه.

فالإشارة إلى الجمال صفة ثابتة في المنهج الإسلامي ليستمتع به الإنسان فيشبع روحه التواقة إلى الجمال بأنواعه وألوانه، ويرسخ القيم الجمالية في الفكر والواقع إلى أبعد الحدود، حتى إذا قامت القيامة، ونسفت الجبال، فإن الله تعالى اختار كلمة (صفصفا) في قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ﴾^(٣) والأصل صففا ولكن لما توالى ثلاث فاءات جعلوا الاوسط صاداً، وهو بمعنى المستوي من الأرض، فالكلمة ترسم معنى جمالياً - لفظياً ومعنوياً - للمنظر الأخير للأرض، وقد باتت مستوية لا اعوجاج فيها، بعد وقوع الواقعة، وليس ثمة من يرى ذلك أو يصوره.

فالجمال بأنواعه يتدخل ويتداخل في جميع ظروف حياتنا، وهذا العالم وما فيه قد أحسن الله تعالى خلقه، فهو في غاية الجمال والاتقان، وكل شيء قدر فيه تقديراً، لا ينقص عن حد التناسق ولا يزيد، ولن تجد البشرية عالماً أحسن منه وأجمل، وكما خلق الله تعالى خلقه وحسنه، أنزل أحسن الحديث (القرآن) وضمنه أجمل الأحكام وأحسنها، ﴿...وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٤) ولن تجد البشرية أحسن من تلك الأحكام وأجمل، فما علينا إلا أن نفرس في أنفسنا وأجيالنا تذوق الجمال، ونجعلن للتربية الجمالية دورها ونصيبها من الإهتمام، لنقولن الأحسن، ولنعملن الأحسن، فننال الجزاء الأحسن في الدنيا والدين، ونستعد إلى لقاء الله ورؤيته، وذلك أجمل الجميل وأحسنه.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين،
والحمد لله رب العالمين

١- (سورة الملك: ٢)

٢- (سورة الحجرات: ٧)

٣- (سورة طه: ١٠٥ - ١٠٧)

٤- (سورة المائدة: ٥٠)